

مسارات متعددة أم مسار واحد لتحقيق السلام في السودان

تعدد الفصائل المسلحة يعسر مهمة توصل السلطة الانتقالية إلى تفاهات حاسمة



تحقيق السلام يحتاج رؤية موحدة

على زاوية الرؤية لدى كل طرف، وحسن النوايا في التوصل إلى اتفاق سلام شامل، ودرجة المرونة التي يمتلكها كل جانب، والشكوك التي يحملها حيال الآخر.

وضع المسارات في بوتقة واحدة للحل سوف يكون مجديا، لأن المشاكل متقاربة والتسويات والمخرجات يجب أن تصبح كذلك. لا يمكن منح حكم ذاتي لإقليم ومنعه عن الآخرين. كما أن علمانية الدولة يصعب الأخذ بها في منطقة وجرمانها في أخرى.

وتكبر السلسلة حياتها إلى آخر الملفات الشائكة، وهو المحك الرئيسي الذي يحدد قدرة قيادات الجبهة الثورية على وضع رؤية شاملة بالمطالب للحل وليس التعقيد. فقد بدأت تنتشر تكهنات ذهبت إلى تفضيل منهج المحاصصة في المنطقة وجرمانها في أخرى. وتكبر السلسلة حياتها إلى آخر الملفات الشائكة، وهو المحك الرئيسي الذي يحدد قدرة قيادات الجبهة الثورية على وضع رؤية شاملة بالمطالب للحل وليس التعقيد. فقد بدأت تنتشر تكهنات ذهبت إلى تفضيل منهج المحاصصة في المنطقة وجرمانها في أخرى.

التي جلبت للسودان الكثير من الوبلات وكبدته خسائر فادحة. فالعزف على بعض الأوتار يعزز القناعات بأن السودان لن يتطور، ويرسخ الأفكار المناطقية ويجعلها سابقة على نظيرتها الوطنية.

يمنح هذا المجال من يطربون لحالة الانسداد السياسي فرصة لمواصلة تغذيتها بغرض عدم وقف الحروب والعدايات نهائيا. ونجحت الحركات المسلحة حتى الآن في عبور مجموعة كبيرة من المطبات، ولم تنتهها هفوات سياسية في بداية المرحلة الانتقالية عن بدء صفحة جديدة مع الحكومة، وتخطي العقبات التي وضعها البعض في طريق العلاقة مع قوى الحرية والتغيير. يتبقى فقط التوافق على أن تصبح الخرطوم المكان الجامع المانع للحوارات.

قد يكون الحديث عن وضع المسارات المتعددة في سلة واحدة مرفوضا بالنسبة إلى الفصائل المسلحة، وربما تجد فيه السلطة الانتقالية مخرجا يعفيها من التشتت، أو مازقا يضطرها لتقديم تنازلات وتضحيات جماعية. تتوقف النظرة الإيجابية أو السلبية

بعد في السودان، والحراك الثوري أخفق في جمع الشمل.

يوجي أيضا الحوار خارجها بعدم الثقة في السلطة الجديدة، ما يهين المجال للشد أكثر من الجذب، ويعيد إنتاج مشكلات سابقة تتعلق بغلبة التفكير الشخصي والحركي على الوطني. فإذا كانت الحركات المسلحة لديها هواجس معينة حيال المركز، فمضاد الأخير لا تقل حجما وعمقا

في الولادات، وتستلزم رفع الكثير من الالتباسات السياسية في بعض القضايا الحيوية التي يمكن أن تجز الجبال إلى حلقة غامضة لا تجدي معها تفاهات أو اتفاقيات أو حتى سلام.

يمكن تجاوز أزمة المسارات باختيار الخرطوم مكان للحوار، بعيدا عن ترديد الشعارات القديمة الخاصة بإشكاليات المركز والهامش والأطراف والغبن والجور ونقض العهود والوعود، وما جره كل ذلك من تجاذبات سياسية ومعارك عسكرية، وتداعيات إنسانية لن تندمل بسهولة.

كما أن هذا الفضاء يقطع الطريق على المتلاعبين بالعقول ومن يسعون إلى الدوران في الحلقة المفرغة ذاتها

وأفريقية أكثر استعدادا من جنوب السودان، لكن المشكلة الرئيسية أن الحكم في جوبا نفسها يواجه أزمات مركبة في مسألة السلام، وعجز عن التوصل إليه خلال ست سنوات من اندلاع الحرب الأهلية، ما يجعل هذا المنبر أقل مصداقية في إنجازه على صعيد السودان.

لا تقل أزمة المنابر صعوبة عن المسارات، حيث تجتهد السلطة الانتقالية والحركات المسلحة في التوصل إلى صيغة تهيدي بها العواصم، تضم كل منها مسارا محمدا. وقبلوا بالأمر الواقع (جوبا)، بعد الفشل في اختيار بديل آخر.

هواجس حيال المركز

تجاهل الجميع اختيار الخرطوم التي من المفترض أن تصبح المكان المناسب والعاصمة القومية التي يجب أن تجتمع تحت مظلتها جميع الأطراف والألوان السياسية، كرمز معنوي مهم، ودلالة على التغيير في المشهد العام، فاستبعاد الخرطوم يحمل في طياته مضامين سلبية، تؤكد أن شيئا لم يتغير

دخلت السلطة الانتقالية السودانية، والجبهة الثورية الممتلئة للحركات المسلحة، في حوارات على خمسة مسارات مضنية. يشمل كل منها منطقة محددة في البلاد. بعضها معروفة خطوطها التي يسير عليها التفاوض، وفقا لما جرت الموافقة عليه إقليميا ودوليا. والبعض الآخر لا يزال يتلمس معالمه السياسية والفنية. وهذا لا يعني أن الأول أكثر سهولة أو العكس. فالجميع يواجه تحديات متعاطمة، وأهمها عنصر الوقت الذي أصبح ضاغطا على سلطة وضعت السلام على قمة أولوياتها في السنة أشهر الأولى لحكمها.

الجهة الثورية، كغطاء رسمي، وأخرى خارجها وقريبة منها في التعاون والتنسيق، مثل الحركة الشعبية - قطاع الشمال، جناح عبدالعزيز الحلو، وثالثة بعيدة أصلا عن عملية المفاوضات، مثل حركة تحرير السودان، جناح عبدالواحد نور.

مسارات متعددة

في ظل هذا الموزاييك، من الصعوبة أن تتوصل السلطة الانتقالية إلى تفاهات حاسمة مع كل هذه الأطراف، وما يعترها من تناقضات صريحة أو ضمنية. وإذا وصلت سوف تواجه مازقا لتطبيقها على الأرض، لأن العناوين العريضة التي تم قبولها في اتفاق المبادئ في شهر سبتمبر بجوبا، حافلة أوجه، وثمة جهات تفسرها بطريقة وأخرى بطريقة مختلفة، ولذلك غير مستبعد أن يغرق المتفاوضون في تفاصيل لا قبل لهم بها، وربما يعجزون عن إيجاد مخرج مناسبة، أو تكيف بعض القضايا بما يتواءم مع طبيعة كل منطقة.

تدور معركة أخرى بشأن المكان الذي يستضيف كل مسار. هناك عواصم استضافت مسار دارفور، وأخرى كردفان، فضلا عن العاصمة المركزية التي تجري فيها الحوارات الراهنة، وهي جوبا، حيث تريد بعض الحركات عقد المحادثات في دولة يعينها، دون أن تعبا بمدى ما يمكن أن تمثله من معان سياسية لها أو للسلطة الانتقالية، وسط حالة استقطاب ساخنة.

ويمكن أن يفهم من عودة مسار دارفور للدوحة، كما تريد حركة العدل والمساواة وزعيمها جبريل إبراهيم، التمسك بتوجه الحركة الإسلامي. وإذا باركت الخرطوم هذه الخطوة يمكن الاستشفاف منها أنها تسير على طريق نظام الرئيس المعزول عمر حسن البشير في علاقته الوطيدة بقطر، ما يدخل المفاوضات نفقا مظلمًا.

ارتاحت غالبية الحركات المسلحة إلى جوبا، ووافقت السلطة الانتقالية على ذلك، فهي تبدو منبرا محايدا، أو على الأقل لن تثير قلقا وتوترا، وأخذا وردًا، بين الخرطوم ودول عربية

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

مضى أكثر من نصف هذه المدة في الضجيج والصخب السياسي، والمفاوضات لم تضبط بوصلتها كي يتسنى الحديث بارتياح عن اقتراب موعد تحقيق السلام الشامل الذي أصبح مربوطا بالتقدم في قضايا أخرى، ليس أخطرها رفع اسم السودان من اللائحة الإمبريكية للدول الراحلة للإرهاق. فهناك إجراءات الانتخابات التشريعية، وحكام الولايات، والصيغة التي سوف يحكم بموجبها السودان، وحرمة كبيرة من الملفات يحتاج حسمها إلى سنوات طويلة.

يمكن تجاوز أزمة

المسارات، باختيار الخرطوم
كمكان للحوار، بعيدا عن
ترديد الشعارات القديمة
الخاصة بإشكاليات المركز
والهامش والأطراف والغبن
والجور ونقض العهود
والوعود

يشفق الكثير من المتابعين على السلطة الانتقالية، لأنها مضطرة إلى إجراء حوارات حول قضايا متقاربة، وتكوين طواقم مختلفة للتفاوض، ربما هناك خصوصية لكل إقليم، لكن في النهاية تكاد الملفات وتتسببها تكون واحدة. فشكل الدولة، فيدرالية أم كونفدرالية، والعلاقة بين المركز والأطراف، وبين الدين والدولة، وتوزيع السلطة والثروة، والمحتوى الأساسي للدستور، واللغة، وملف اللاجئين والمشردين والتعويضات، وقواعد وقف العدائيات، والموقف من هضم العناصر المسلحة التي قاتلت على مدار سنوات، وغيرها من الموضوعات.

تتقاسم المسارات الخمس هوم غالبية هذه القضايا، قد تتقدم أو تتأخر على مسار، غير أنها تتكرر، ويمكن أن تتم مناقشتها أكثر من مرة، لأن هناك خمسة فصائل مسلحة مدمجة في

الفصل الوهمي بين السياسة والرياضة

أخضر بل إنه لم يتردد في وصفها في كتابه بـ"الحرب" وفقا لما عاينه في زيارته لدول العالم، وهو في هذا يشبه فوز هولندا على ألمانيا بفوز إيرلندا على إنجلترا بكل ما يختزله ذلك من عداوة سياسية وتاريخية بين البلدين.

يبعث التاريخ عبر الكثير من الوقائع عكس ما تدعيه الغيفا والاتحادات الكروية من فصل غير واقعي لعلاقة الترابط بين الكرة والسياسة والحال أن الكرة باتت أحد أزرع الدبلوماسية الدولية لفض النزاعات السياسية وبمباركة من الاتحاد الدولي للعبة نفسه. نجحت هذه الدبلوماسية الناعمة في أن تمهد لأول لقاء بين زعميي تركيا وأرمينيا على مدى نحو 100 عام على خلفية العداء التاريخي والجراح المتوارثة عن مذابح الأرمن أثناء الحكم العثماني، والمناسبة مباراة ودية بين المنتخبين عام 2008 في بريغان حضرها آنذاك الرئيس التركي عبدالله غول والرئيس الأرميني سيرج سركسيان. والكرة كانت جزءا من عمليات التقريب بين دول مجلس التعاون الخليجي في أزمة قطر وجيرانها خلال بطولة كأس الخليج التي احتضنتها الدوحة بان تم رفع حظر تنقل الأشخاص جزئيا، حدث هذا بترحيب صريح من الغيفا في مسعى لتذليل العقبات اللوجستية في بطولة كأس العالم 2022.

لأفغانستان قبلها بعام، وبالمثل قاطع الاتحاد السوفياتي الدورة التالية للالعاب الأولمبية في لوس أنجلوس الأمريكية عام 1984، وهي المدينة الوحيدة التي رشحت لاستضافتها. لقد خصص الصحافي الهولندي سايمون كوبر كتابه "الكرة ضد العدو" للتاكيد على الدور الثقافي والسياسي الذي تلعبه الرياضة الأكثر شعبية في العالم، إذ بينما كان الهولنديون يحتفلون بشكل هستيري بفوز منتخبهم التاريخي ضد "العدوة" ألمانيا في نصف نهائي أمم أوروبا على أرض ألمانيا عام 1988، يذكر سايمون في كتابه كيف القى سكان أمستردام بدراجاتهم في الهواء صارخين "لقد استرجعنا دراجتنا"، في تذكير بأكثر سرقة دراجات هوائية ارتكبتها الألمان حينما صادروا جميع الدراجات الخاصة بالهولنديين أثناء الاحتلال النازي.

بل إن الصحافي الهولندي يستحضر مرهوا إحدى الأناشيد التي أطلقها الهولنديون في المديرات الألمانية "في 1940 جاءوا.. في 1988 جئنا" كناية عن اجتياح الهولنديين بالوانهم البرتقالية مدرجات ملعب هامبورغ حتى بدأ الأمر وكان المباراة تلعب في هولندا، ردا على الاجتياح النازي لهولندا عام 1940. يربد سايمون التاكيد على أن كرة القدم ليست مجرد لعبة على مستطيل

ألمانيا الغربية آنذاك. ولكن الصحافيين المتخصصين كانوا قد علقوا بالعودة إلى أطوار البطولة بأنها كانت في كل الأحوال مهيةا بالمعنى لفوز الأرجنتين والتسويق للنظام العسكري.

ومثل كرويف عرف أسطورة كرة القدم الأرجنتينية دياغو مارادونا كصديق وفي لزعماء اليسار في أمريكا اللاتينية والمناهضين للإمبريالية الأمريكية، الراحلين هوغو تشافيز وفيدال كاسترو وإيفو موراليس المستقيل، واليوم يقف بقوة إلى جانب الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو ضد الضغط الأميركي.

وفي صراع المعسكرات لا يزال العالم يستحضر المقاطعة الواسعة من قبل دول الكتلة الليبرالية لأولمبياد موسكو عام 1980 ردا على الاجتياح السوفياتي

رئيس الوزراء الإيطالي السابق سيلفيو برلسكوني هذا التشابك المحكم منذ ثمانينات القرن الماضي عندما جمع بين رئاسته لنادي ميلان العريق ومنصبه السياسي وكانت لهذا التقاطع كلفته من الفصائح المترامية في عالمي المال والسياسة.

كان للجناح الطائر الهولندي الراحل يوهان كرويف موقف مباشر من الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال خورخي فيديلا في الأرجنتين كلفه ذلك الغياب عن موندنال 1978 في قمة عطائه ونجوميته.

وربما كانت لهذا الغياب كلفته عندما افتقدت الطواحين الهولندية أحد مفاتيح النجاح للفوز بكأس العالم أمام البلد المنظم للمرة الثانية على التوالي بعد خسارته نهائي 1974 ضد البلد المنظم أيضا

طويلة وكانت الرياضة والملاعب إحدى جبهات هذا الغنافس منذ حكم الجنرال فرنكو الذي عرف بمناصرتة للريال وإخضاعه للادعابة لحكمه.

والكرة قد تتحول إلى مواقف ومسار تصحيجي للسياسة مثلما شرح ذلك الصحافي الهولندي سايمون كوبر في كتابه "الكرة ضد العدو"، وهي مقاربة رسخها النجم الألماني التركي مسعود أوزيل لاعب إرسال الإنجليزي عندما وجه عبر تغريدة، انتقادات صريحة لبيكين بسبب الانتهاكات الممنهجة التي تتعرض لها أقلية الإيغور المسلمة في إقليم شينجيانغ.

لم تحدث انتقادات دولية سابقة، سواء من منظمات حقوق الإنسان أو من المجتمع الدولي، وقعا على الحزب الشيوعي الصيني مثلما كان الأمر مع انتقادات مسعود أوزيل، وبرغم التبعات الاقتصادية والمالية لتصرجات اللاعب على نادي أرسنال في السوق الصينية فإن ذلك لم يمح آثار التشهير السياسي بما يحصل في الإقليم الصيني والذي سوتته كافل ما يكون تغريدة أوزيل. ومن الغباء الحديث عن فصل بيدو وهما ومناخيا للتاريخ بين الرياضة والسياسة، ليس فقط بالعودة إلى الدعاية الكلاسيكية في فترة حكم فرانكو أو الصعود النازي في أولمبياد برلين لعام 1938 مثلا، ولكن حديثا جسد

طارق القيزاني
صحافي تونسي

في أقل من أسبوع واحد تعرضت رياضة كرة القدم إلى اختبايرين أكدا أن اللعبة الشعبية الأولى في العالم ليست بمنأى عن السياسة، بل هي مختبر لصناعة السياسة حتى وإن ظل الاحتاد الدولي (فيفا) يدعي عكس ذلك. برغم الاحتياطات الأمنية الكبرى في مقاطعة كتالونيا الإسبانية في محاولة للنأي بمباراة الكلاسيكو بين الغريمين الأقوى في العالم نادي برشلونة وفريق العاصمة ريال مدريد عن الاحتجاجات الانفصالية، فإن تلك المحاولات باءت كلها بالفشل لأن السياسة لم تكن مطلقا خارج التنافس بين غريمين يمثلان السلطة المركزية من جهة وإقليميا مقاوما في الجهة المقابلة. لا يمكن النظر إلى تلك الاحتجاجات كمجرد صيحات صادرة عن غوغائين، فالأمر ليس مقصرا على الشوارع والمدرجات، إذ لا يمكن التغاضي عن أن تلك المطالب الانفصالية في كتالونيا تلقى هوى ودعم عند بعض نجوم فريق برشلونة أنفسهم وأولهم جيران بيكي. ليس هناك أفضل من هذه الدعاية: وفي الحقيقة فإن العداء السياسي القائم بين الإقليم والعاصمة منذ عقود

